جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة

يحررها نخبة من أساتذة الكلية

العدد ٨

يشرف على تحريرها

أ.د. غريب نافع
وكيل الكلية

أ.د. على البدرى
عميد الكلية ورئيس قسم البلاغة والنقد

البحوث المنشورة بالمجلة على مسئولية كاتبيها

بسم الله الرحمن الرحيم

أسرة التحرير

المنهج التاريخي
في كتابات سالم بن حمود السيابي

بقلم الدكتور

محمد صابر إبراهيم عرب

أستاذ مساعد التاريخ العربي الحديث

تعريف بالشيخ السيابي :

هو الشيخ سالم بن حمود بن شامس بن خميس بن علي بن عبيد السيابي .

مولده ونشأته :

ولد بقرية « فلا » التابعة لبوشر سنة ١٣٢٦ هـ ، ١٩٠٨ م حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ثم انتقل إلى سمائل ، حيث درس على الشيخ خلفان بن جميل السيابي أصول الدين والفقه كما درس على الشيخ أبا عبيد حمد بن عبيد السليمي كما جالس الإمام الرضي محمد بن عبدالله الخليلي مما أتاح الشيخ السيابي فرصة واسعة للتزود من الثقافة الإسلامية وكان لتنوع معارفه أكبر الأثر على تنوع كتاباته ما بين الفقه واللغة والأدب والتاريخ .

الوظائف التي شغلها :

عمل مدرسا بولاية بوشر ثم قاضيا لنفس الولاية ثم عمل واليا وقاضيا على نخل ثم واليا على جعلان بني بوحسن ثم إستدعى إلى مسقط في عهد السلطان سعيد بن تيمور ، حيث عين رئيساً لمحكمة الإستئناف ثم إنتقل واليا على السيب ثم قاضيا في المحكمة الشرعية بالعاصمة .

وفي ١٩٨٢ نقل إلى وزارة التراث القومي والثقافة ليتفرغ لكتابة وتحقيق الكتب الفقهية والتاريخية والأدبية .

أهم مؤلفاته :

كتب الشيخ السيابى أكثر من خمسين مؤلفا فى كل مجالات الثقافة العربية والإسلامية لعل من أهمها :

١ - إرشاد الأنام فى الأديان والأحكام (عشر مجلدات) .
٢ - العقود المفصلة فى المسائل الموصلة (مجلدان) .
٣ - العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة فى المذهب الأباضى وأصوله .
٤ - جوهر التاريخ المحمدى فى سيرة الرسول الأعظم .
٥ - العنوان فى تاريخ عمان (مطبوع) .
٦ - الحقيقة والمجاز فى تاريخ الأباضية باليمن والحجاز (مطبوع) .
٧ - إزالة الوعثاء فى أتباع أبى الشعثاء (مطبوع) .
٨ - طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى (مطبوع) .
٩ - عمان عبر التاريخ (مطبوع فى أربع مجلدات) .
١٠ - فصل الخطاب فى السؤال والجواب .
١١ - العقود المفصلة فى الأحكام المؤصلة (مطبوع) .
١٢ - العقود المنظمة فى الخيل المسومة (مطبوع) .

مفهوم التاريخ عند الشيخ السيابى :

لقد إرتبطت الكتابة التاريخية عند المسلمين منذ صدر الإسلام بالعلوم الدينية ، فكان المؤرخون الأولون يكتبون فى السيرة النبوية وفى أنساب المغازى وفى أنساب القبائل العربية وفى الطبقات وفى التراجم لرجال الفقه والحديث وكبار الصحابة وعلى هذا النهج مضى شيخنا السيابى مستلهماً فضل التاريخ وأهميتـــه ، مشيرا إلى دوره فى حفظ قصص النبيين ورسالات المرسلين وكيف أنه حفظ لنا تاريخ الأكاسرة والقياصرة ودون لنا أعمال الأمم ، سواء فى إنتصاراتها أو هزائمها ثم يترجم دوافعه العربية بصدق

شديد حيث يقول « وهل نعلم لولا التاريخ ما فعل أئمتنا الألون وما عمله أهل الحق ، والعلماء الأكرمين[١] » .

لقد جمع الشيخ السيابى بين علوم الشريعة واللغة والتاريخ وعلى الرغم من ثقافته الشرعية واللغوية الواسعة إلا أنه لم يفضل أهمية التاريخ ومكانته بين العلوم الإسلامية على إعتبار أن القرآن الكريم قد جاء بنظرة عالمية إلى التاريخ ممثلة فى تتابع النبوات إضافة إلى حرص القرآن الكريم على التأكيد بأن سيرة الرسل مثل المسلمين يقتدون بها وكان لهذا التأكيد أثره فى عناية العرب بدراسة السيرة النبوية ودراسة حياة الرسول[٢] .

وعلى الرغم من أن الدراسات الأولى لحياة الرسول قد سميت باسم المغازى على اعتبار أنها تعنى دراسة أعمال الرسول الحربية إلا أنها فى حقيقة الأمر تشتمل على عصر الرسول كله[٣] .

وتأكيدا على أهمية التاريخ ودوره فى إثراء التجربة الإنسانية ينقل الشيخ السيابى رأى إبن خلدون فى التاريخ قائلا : « إن التاريخ من الفنون التى تتداولها الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال وتتنافس فيه الملوك والأقيال ويتساوى فى فهمه العلماء والجهال ، إذ هو فى ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى ، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال وتطرق بها الأندية إذا غصها الاحتفال وتؤدى إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال وعمروا الأرض

---

(١) سالم بن حمود السيابى ، عمان عبر التاريخ ط ٥ ص ١٦ سلطنة عمان ١٩٨٦

(٢) د / السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ص ٣٦ الأسكندرية ١٩٨٧

(٣) عبد العزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٩ ، ٢٠

حتى نادى بهم الإرتحال وحان لهم الزوال . وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لهذا أصيل فى الحكمة عريق » .

وهذا الفهم الدقيق من الشيخ السيابي لطبيعة التاريخ ووظيفته وفقا لرواية بن خلدون يؤكد بأن الشيخ على وعى حقيق لطبيعة التجربة الإنسانية فهو فى باطنه (التاريخ) نظر وتحقيق أى تفكير وتدبر فى طبائع البشر وتكوين المجتمعات وتحليل دقيق للحوادث ونتائجها ، ولذا فهو كما يقول إبن خلدون « أصيل فى الحكمة عريق وجدير بأن يعد فى علومها خليق » والحكمة فى المعارف العربية هى أعلى مراتب العلم وقد قرنها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ثمانى مرات وعبارة « الكتاب والحكمة » عبارة قرآنية لا تزال تتردد فى الأسماع والقلوب .

لقد بالغ العلماء كثيرا فى تحميل بن خلدون مسئولية إدراج التاريخ بين الفنون دون إعتباره علما تتوافر فيه كل مواصفات العلم . باعتبار أن الفن أقل منزلة وأهمية من العلم الذى هو معرفة أكيدة .

لعل مواصفات العلم والفن لم تكن دقيقة فى نظر بن خلدون فهو تارة يقول عندما أفرد فصلا عن فائدة التاريخ « فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه الخ . . وتارة أخرى يقول وفى نفس الفصل : « اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب الخ . . » وأعتقد أنه لم يكن يفرق بين طبيعة الفن وطبيعة العلم وليس كما يعتقد بعض المؤرخين[١] من أنه كان غير مقتنع تماما بأن التاريخ علم مستكمل لأشراط العلوم .

ولعل الشيخ السالمى قد تجاوز هذه الإشكالية ، مستندا على وجهة نظر الشيخ نور الدين السالمى باعتبار أن علم التاريخ مما يصير على الاقتداء بالصالح

(١) د / حسين مؤنس . المرجع السابق ص ٤

ويرشد إلى طريقة المتقين . ثم يعود الشيخ السيابي مؤكدا على أن التاريخ سر من أسرار العلوم الكونية وضع الله أصوله فى كتابه العزيز حيث قال : « أو لم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود إلخ ... » .

ومن المؤكد أن الشيخ السيابي لم يقصر أهمية التاريخ على معرفة سيرة الأنبياء والمرسلين وحياتهم باعتبارهم قدوة صالحة لتلك الأجيال فقط وإنما باعتباره أيضا تجربة إنسانية جديدة بالدراسة فى محاولة لفهم الإنسان طبيعة الحياة على وجه الأرض ، لعل هذا المعنى لم يكن خافيا على الشيخ السيابي ، حيث استشهد بتجربة الإمام السالمى قائلا : « لما أراد الإمام السالمى إعادة الإمامة .. قام بنشر تاريخ عمان حيث عرف العمانيون تاريخ أسلافهم وأعمال آبائهم فهبوا متشوقين إليها وكذلك طبع دواوين الشعر الحماسى الداعى إلى نبذ الخمول واعتناق النشاط فكان ذلك من أعظم عوامل النهوض بالأمة .. كل ذلك بفضل دراسة الأبناء لسالف الآباء إلخ[1] .

لعل مايفيد الشيخ السيابي هو التجربة الإنسانية التى لها وقع هائل على حياة البشر ، مهما كانت هذه التجربة متواضعة ، فلا توجد فى التاريخ حوادث كبيرة وأخرى صغيرة لأن الحوادث الكبيرة إنما هى تجمع حوادث صغيرة بعضها إلى بعض فى نطاق مكانى وزمانى ضيق . كما أن السيل الجارف ينشأ من تجمع ذرات صغيرة من البخار فإن وقوع حرب عالمية مدمرة يكون فى الغالب نتيجة مشاكل بشرية وسياسية وتراكمها وتنامى الخصومات والحزازات وتصادم المصالح والأهواء مرة تلو أخرى وهكذا .

والتجربة الإنسانية التى وعيها السيابي أراد أن يضعها أمام معاصريه بهدف إبراز دور المذهب الاباضى فى تجسيد الفضائل والتضحية فى سبيل الدين والوطن ولعله لايختلف فى هذا عن سرحان الأزكوى ، الذى نجح فى التأريخ للمذهب من خلال تأريخه لعمان ويعترف بذلك قائلا : « لقد صنفت هـــذا

(١) سالم بن حمود السيابى ، عمان عبر التاريخ ح ١ ص ٢٣ .

الكتاب وجعلت ظاهرة فى القصص والأخبار وباطنه فى المذهب المختار .. على أنهم لأصولهم يعرفون ولأهل الحق بالحق يعترفون(١) .

وكذا فعل الشيخ السيابى فى محاولة ناجحة لإبراز أهمية العقيدة الدينية فى سلوك الأفراد حكاما ومحكومين حيث يقول : « إن ذكر التاريخ عموما أو تاريخ عمان على الأخص - بهدف أن يتحدث الناس عن أعمال الرجال ككل أو عن الأعمال الفاضلة التى يعتمد عليها الرجال المعنيون بحب أوطانهم أو باستقامة دينهم أو بسعادة شعوبهم(٢) .

وشرح أحوال المجتمع العمانى وعوامل قوته وضعفه ، ولذا فقد تميزت كتاباته بالبساطة والسهولة والوضوح والسلاسة فضلا عن عنايته بتحليل ودراسة كثير من الموضوعات بطريقة يحمد عليها .

وفى سبيل ذلك طاف الشيخ السيابى باحثا ومنقبا مستلهما معارفه من ثقافته الواسعة ومن قراءاته فى أمهات الكتب ومن شهادات مشيوخ والمعاصرين للأحداث ولذا فقد جاءت كتاباته التاريخية وافية شاملة مع ملاحظة أنه ليس المقصود بالحقيقة التاريخية الحقيقية المطلقة لأن هذا أو أو غير مستطاع لأسباب كثيرة مثل قلة المراجع واختلاف وجهات النظر حول القضية الواحدة ولا يمكن الإنسان أن يعرف حقيقة ذاته ، حتى يعرف حقيقة غيره ، فالحقيقة التى يصل إليها المؤرخ دوما هى حقيقة نسبية كلما زادت نسبة الصـــدق فيها اقترب التاريخ من أن تصبح تاريخا بالمعنى الصحيح .

واللافت للنظر فى كتابات السيابى أن التاريخ عنده يؤدى وظيفة تتعدى

---

(١) سرحان بن سعيد الازكوى تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة تحقيق عبد المجيد القيس ص ٣ .

(٢) السيابى ، مرجع سبق ذكره ص ٢٦ .

مدلول التجربة السامية إلى التجربة الخاصة القائمة على فمكرة الإيمان فضعف الحكام دائما مرجعه البعد من سيرة السلف الصالح ومن ثم إنهيار الدولة ولأن حركة التاريخ مستمرة فمن بين الظلام تنبثق الحقيقة من خلال رجال وهبوا أنفسهم دفاعا عنها - وإيمانا من السيابي بأهمية العقيدة ودورها في حركة التاريخ فإننا نلمس ذلك بكل وضوح من خلال كتاباته جميعها حيث يحاول أن يجسد هذه الحقيقة من خلال فهم حقيقي لحركة التاريخ باعتباره ميدانا واسعاً وأن مادته متسعة كاتساعه .

ويلاحظ أن الأساطير من أهم أنواع الروايات الشفوية ويوجد عصر أساطير في تاريخ كل أمة مثل أساطير قدماء المصريين وأساطير الفرس والهنود واليونان والرومان إلخ وفي عهود الحضارة تستمر الأساطير الشعبية وغالبا ماتشكل كثيرا من الروايات ذات التأثير في أذهان الناس وحينما تبدأ أمة من الأمم في تدوين تاريخها يتسرب قدر من الروايات الشفوية ، حيث تختلط بالحقائق وعلى ذلك تنشأ النوادر أو القصص المسماة بالأساطير مثل الإشاعات والأوهام[1] إلخ .

ولما كان السيابي من الجيل الذي يحفل بالثقافة الإسلامية عموما ، لذا فيمكن تصنيفه على اعتبار أنه ينتمي إلى مايعرف بشمولية المعرفة ، حيث يختلط التاريخ بالفقه وغالبا مايحاول أن يؤصل قضية فقهية ومن ثم فلابد من العودة إلى القرآن والحديث وهكذا تتفاعل المعارف الإسلامية ولذلك فمن الصعب وضع كتابات السيابي التاريخية أمام منهج تاريخي محدد بحكم ارتباطها بكثير من المعارف الإسلامية .

وعموما فإن رؤية السيابي للتاريخ تعد رؤية عالمية مستمدة من القرآن الكريم الذي أتى بأمثلة لشعوب وحضارات وملوك ورسل وأنبياء وكان

(١) د . حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ص ١٤ .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

النفس الإنسانية تميل دائماً إلى معرفة تفاصيل حياة أولئك الرجال وهو نوع من الحوار التاريخي بين الحاضر والماضي ، وحتى تعرف أين أخطأوا الكي لا تقع فيها وقعوا فيه ومن هنا يجوز لنا أن نقول إن الماضي كما يراه جيلنا يختلف عن نفس الماضي كما رآه الجيل السابق علينا وكما يراه الجيل الذي سيأتي بعدنا ومن هنا يصدق القول بأن للأمة الواحدة أكثر من تاريخ ولهذا لابد لكل عصر أن يكتب التاريخ من وجهة نظره وهذا لا يقلل من الكتابات السابقة أو من كتاباتنا التي ستتحول إلى تراث في المستقبل ولعل المستقبل ينبيء عن كم من المخطوطات والوثائق التي تتيح للمؤرخ رؤيا أفضل وتحليل أدق ولذلك فإن كتابات السيابي والسالمي وابن زريق وغيرهم هي أساس لابد منه وعلى الأجيال الشابة الواعدة من العمانيين المتحمسين لمعرفة الحقيقة أن يواصلوا وكما قلت فالحقيقة التاريخية دائماً ليست مطلقة وإنما هي نسبية تختلف من شخص لآخر ومن جيل لجيل . . وفقا للمصادر وأدوات البحث ومقدرة المؤرخ على التحليل والتفسير ولذلك فلن تكون كتابات السيابي إلا سلسلة من الكتابات التي تكمل ماقبلها وتكون أساسا لما بعدها .

موضع كتابات السيابي من المؤرخين المسلمين

لقد تميزت الكتابة التاريخية في القرن الثاني الهجري بثلاث مظاهر أساسية أولها : إنفصال الأخبار بينها واستقلالها ، ثانيها : الطابع القصصي الذي لا يخلو من الحوار غالبا ، ثالثاً : الإستشهاد بالشعر ولم يلبث المؤرخ المسلم أن تحرر تدريجيا من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد أخباري ، أي ناقل للخبر ، إلى الكتابة المرسلة التي تعنى بالخبر في ذاته ومناقشته[1] ، وبينما كان الطبري ومن سبقوه يهتمون اهتماما خاصا بالإسناد وتسلسل الرواة ، فقد ظهر فريق من المؤرخين المسلمين ابتعدوا في

(١) دكتور السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون ص ٧٥ ، ٧٦ .

كتاباتهم عن طريقة الإسناد واكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة إلى أصحابها مثل اليعقوبي والمسعودي واكتفى هؤلاء بذكر مصادر مادتهم التاريخية في مقدمات كتبهم مع دراساتها أحيانا دراسة نقدية كما فعل المسعودي في مقدمة كتابه مروج الذهب ، حيث يثنى على كتابة الطبري وقدامة بن جعفر ويحمل على سنان بن قرة الحراني .

وإذا كانت الكتابة التاريخية تطورت من حيث الطريقة ، فقد تطورت أيضا من حيث الاسلوب فبعد أن كان التاريخ يجمع في معظمه موضوعات متنوعة لا رابطة بينها بصلة معتمدا على أسلوب جاف لا يتناسب غالبا وثقافة العامة ، أصبح الأسلوب التاريخي مرسلا بسيطا وواضحا يكاد يخلو في معظمه من الشعر وكثيرا ما استخدم السجع في الكتابة التاريخية .

ووجد بين مؤرخي المسلمين من استخدم في كتاباته أسلوبا بسيطا سهلا ، تجنب فيه الزخرفة اللفظية والألفاظ الدارجة من أمثال ابن حيان وابن الأثير وابن طباطبا وقد اهتم هؤلاء بإبراز المادة التاريخية في عبارات قصيرة توضح المعنى المطلوب ، بطريقة سهلة ، ميسرة .

وعموما فقد سلك المؤرخون الأوائل في كتاباتهم منهجين . أولهما : مايعرف بالتاريخ الحولي أو التأريخ حسب السنين وثانيهما : التأريخ حسب الموضوعات وترتيبها بما يتناسب وبعضها البعض .

أما المنهج الأول : فقد اعتمد أصحابه على جمع حوادث كل سنة وربطها بكلمة « وفيها » فإذا إنتهت حوادث السنة الواحدة إنتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية ، حيث يضيف « ولما دخلت سنة كذا » أو « عندما جاءت سنة كذا » ومن عيوب هذا المنهج أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية ، التي غالبا ماتمتد آثارها إلى السنة التالية أو إلى عـــدد من السنين وحتى إذا ما عاد المؤرخ لتناول نفس الحادثة في السنة التالية فإنه يأتي بها منفصلة عما قبلها وقد انتقد شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري في مقدمة كتابه

« نهاية الأرب فى فنون الأدب » هذه الطريقة الحولية وآثر الكتابة حسب الموضوعات[1] .

والطبري عمدة المؤرخين هو أول مؤرخ وصلنا إنتاجه التاريخى مرتبا حسب السنين منذ بداية التاريخ الهجرى ، حتى سنة ٣٠٢ هـ ، ولعل اعتماد الطبرى على الإسناد كان لوفرة مصادره مما جعله مصدر ثقة لمن أتى بعده من المؤرخين مثل مسكويه وابن الأثير وغيرهما .

ويعتقد البعض أن طريقة التاريخ الحولى قــد استمدها العرب من مؤرخى الإغريق والسريان كما إستمدوا غيرها من المعارف الفلسفية والرياضية والجغرافية إلخ[2] .

أما المنهج الثاني : وهو مايعرف بالتأريخ حسب الموضوعات التى قد تكون إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام وإما للسير والطبقات هكذا كتب ابن خلدون فى كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ولسان الدين بن الخطيب فى « اللمحة البدرية فى الدولة النصرية » ثم الطبقات الكبرى للشعرانى وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة وطبقات الشعراء لابن المعتز الخ .

أما شيخنا السيابى فقداختار نوعامن الكتابةالتاريخية عند العرب بالتاريخ المحلى : حيث يؤرخ لبلده عمان ويقف مصححا الأخطاء التى ترد عن عقيدتها بطريقة تحقيقية تعليمية تنم عن حب كبير لعمان ولمذهبها الأباضى ولعل الرؤية التاريخية جاءت أكثر وضوحا فى كتابه الشهير «عمان عبر التاريخ»[3] ثم تاريخ المذهب الأباضى من خلال ما كتب السيابى فى « أصدق المناهج فى

---

(١) محمد عبد الغنى حسن ، علم التاريخ عند العرب ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢) د . السيد عبد العزيز سالم ، مرجع سبق ذكره ص ٨٩ .

(٣) سالم بن حمود السيابى ، عمان عبر التاريخ أربعة أجزاء من وزارة التراث القومى والثقافة سلطنة عمان ١٩٨٦ .

تمييز الأباضية عن الخوارج(١) ، « طاقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى » ، إزالة الوعثاء عن أتباع ابن الشعثاء .

وهذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية وتعبير صادق عن إرتباط المؤرخ واعتزازه بوطنه وبعقيدته بمذهبه الأباضى وهذا النوع من الكتابة عرف عند المؤرخين المسلمين من أمثال أبو على الحسين السلامى (ت ٣٧٤ هـ) حيث يقول فى كتابه « أخبار ولاة خراسان » أن الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يحفظ أيام أمرائها لا شىء أزرى عليه من أن يجهل أخبار أرضه » .

كذلك يعيب أبو الحسن بن محمد الربيع التميمى القيروانى على مؤرخى الأندلس تقصيرهم فى الكتابة عن بلدهم وذلك فى رسالة وجهها إلى ابن حزم القرطبى قال فيها : « لقد كانوا فى غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل أن علماء الأمصار دونوا فضائل أمصارهم ، وخلدوا فى الكتب مآثر بلدانهم وأخبـــار الملوك والأمراء والوزراء والقضاه والعلماء فأبقوا لهم ذكرا فى الغابرين يتجدد على مر الليالى والأيام ولسان صدق فى الآخرين يتأكد مع تصرف الأعوام وعلماؤكم مع إستظهارهم على العلوم ، كل امرىء منهم قائم فى ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح ، يخاف إن صنف أن يعنف وإن ألف أن يخالف ولا يؤالف ، أو تخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ، لم يتعب أحد منهم نفسا فى جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل خاطره فى مفاخر ملوكه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه .

ويمكننا أن نميز الكتابة فى التاريخ المحلى بتيارين واضحى المعـــالم إلا أنهما متصلين منهما أحدهما تيار دنيوى والثانى تيار دينى .

---

(١) للسيابى تحقيق دكتوره/سيدة الكاشف من مطبوعات وزارة التراث القومى والثقافة سلطنة عمان ١٩٧٩ .

أما الأول فقد ظهرت أنواع منه مثل تاريخ بغداد لأحمد بن طاهر طيفور (ت ٢٨٠ هـ) وتاريخ المحصل لأبى زكريا يزيد بن إياس الأزدى (ت ٣٤٤ هـ) واتسعت هذه الطريقة فى الكتابة حيث كتب تقى الدين أحمد ابن على المقريزى كتابه الشهير : « المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار » وكتاب : « حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة » لجلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطى (ت ٩١١ هـ) وفى الشام ظهرت أمثلة كثيرة حيث ألفت فى تاريخ الشام عموما ومدنها خصوصا كتبا كثيرة لا يسع المجال لحصرها .

أما الشيخ السيابى : فقد إنفرد بطريقة عزيزة جاءت من الخصوصية التى تميز بها تاريخ عمان بدءا من القرن الثانى الهجرى حيث كان العدل فى عمان من خلال تقروها بطابع خاص وإسهامات أصلها فى نشر الدعوة الإسلامية فى أماكن شتى من قارتى آسيا وأفريقيا .

والحقيقة أنه لا يمكن للباحث أن يدرس تاريخ عمان دون أن يقف على حقيقة المذهب الأباضى من حيث تاريخه وتطوره . وإذا كان عدد كبير من المؤرخين وكتاب الفرق قد خلطوا بين الأباضية والخوارج فإن السيابى إيمانا منه بعقيدته الصحيحة فقد انبرى مدافعا ، شارحا ، معمقا من خلال كتابه الشهير : « أصدق المناهج فى تمييز الأباضية عن الخوارج » وبصدق شديد شرح السيابى المذهب الأباضى وجوهره ورخص الكتب العقائدية والتاريخية ، التى تدخل الأباضية ضمن فرق الخوارج وبما أن الشيخ السيابى كان يدرك بأنه يؤرخ للعقيدة وللمذهب فقد تبسط كثيرا أثناء عرضه حيث جاءت العديد من موضوعات الكتاب على شكل أسئلة طرحها على نفسه وأجاب عنها بطريقة تعليمية مقنعة مثل من هم الاباضية ؟ وأين هم ؟ هل لهم مذهب خاص ؟ هل للأباضية فى خدمة الإســـلام نصيب[1] ؟ الخ ...

(١) سالم بن حمود السيابى ، أصدق المناهج فى تمييز الأباضية عن الخوارج ص ١٦ وما بعدها .

وتبدو ثقافة الشيخ السيابى الواسعة المتعددة المستمدة من القرآن والسنة النبوية إضافة إلى قراءته الواسعة فى كتب التراث الإسلامى عموما ويشير أحيانا إلى بعض مراجعه التى اعتمد عليها سواء أكانت لمؤلفين عمانيين أو مسلمين عموما وعلى الرغم مما يتميز به السيابى من إخلاص وإيمان لمذهبه إلا أنه يدعو إلى التقريب بين المذاهب بدلا من إتساع الهوة وإيجاد الفرقة بين أبناء الدين الواحد(١) .

واللافت للنظر مقدرة السيابى اللغوية والفقهية والأدبية ، حيث تجلت براعته فى مقدرته على صياغة أحكامه شعرا دون خلل أو كلل ، دون أن يحس القارىء أن خللا ما قد وقع معتمدا على التشويق بطريقة بارعة تنم عن حس أدبى رفيع .

لعل السيابى قد واجه مشكلات كثيرة وهو يؤرخ لمذهبه ، حيث أن المراجع الأصيلة قد إندثرت ولذا فقد اعتمد على كثير من المخطوطات العمانية التى أسهمت وزارة التراث القومى والثقافة فى نشر عدد كبير منها إلا أن عامل التقادم قد يكون حائلا دون إظهار الحقيقة كاملة فالمؤرخ الذى يؤرخ لأحداث زمانه قد تطبع روايته بطابع الصدق والدقة أو المؤرخ الذى يعيش فى زمن قريب من الأحداث يكون أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين على تصوير الأحداث وتبسيطها وعلى الرغم من أن هذه المشكلة تعد عقبة كبيرة فى التاريخ الإسلامى عموما إلا أن السيابى قد نجح فى إستخدام ما تحت يده وبطريقة يحمد عليها .

فلو إستعرضنا كتابات عدد من المسلمين المعاصرين للاحداث مثل ابن الأثير الذى برع فى تصوير الغزو المغولى على ديار الإسلام(٢) .

(١) د / سيدة الكاشف أنظر المرجع السابق ص ٦
(٢) ابن الأثير ، الكامل أحداث سنة ٦١٧

أو المقريزى الذى نجح فى كشف أسباب المجاعة والطاعون الذى تفشى فى مصر فى زمنه[١] .

نلاحظ أن هـــذه الكتابات قد تميزت بواقعية شديدة وترجمة دقيقة للأحداث وخصوصا فى الموضوعات التى لا يجد المؤرخ حساسية فى تصديرها بعكس الموضوعات السياسية أو الدينية التى تتعارض مع رغبة الحكام ، فكثيرا ما يعمد المؤرخ إلى إخفاء بعض عيوب الحكام خوفا من بطشهم ودرءا لغضبهم وقد يعمد البعض إلى إبراز محاسن يفتقدها الحكام ومن أمثلة هؤلاء المسعودى ، الذى أرخ للخليفة العباسى القاهرة تملقا متغاضيا عن سوءاته الخ ...

أما السيابى فقد إختلفت كتاباته لأنه يكتب تاريخ بلده ومذهبها بتجرد شديد وبدوافع دينية ووطنيته ، متحمسا أحيانا كثيرة . وبما أنه ينتمى إلى الجيل الذى تشرب المعارف بشمولية شديدة فهو دارس للفقه والتفسير والحديث ، حافظا لكتاب الله على وعى شديد بحقيقة التاريخ الإسلامى العام ولذلك جاءت كتاباته على نمط الكتابات الشمولية ، التى إمتزج فيها الأدب بالتاريخ وتداخل الفقه فى السير والمغازى وما بين هذا وذاك إنسابت قريحته الشعرية فجاءت كتاباته أشبه بدائرة المعارف العامة ، فحينما تقرأ فى كتاباته التاريخية يدفعك دفعا إلى التزود بمأثورات العرب من الشعر ونوادر الادب دون أن تحس بأنك قد خرجت عن سياق الاحداث معتمدا على ذاكرة حافظة مستشهد بالقرآن أحياناً وبالحديث النبوى فى أحيان كثيرة وبالشعر فى معظم الأحيان .

ولذلك فإن إعمال المناهج المعاصرة فى كتابات السيابى تعد أمرا صعباً للغاية وعموما فقد وضع أساسا الأجيال التى تأتى بعده ، وعليها أن تتزود

---

(١) د / سيد عبد العزيز سالم مرجع سبق ذكره ص ١٢٥

من كتابات السيابى مع أعمال المناهج المعاصرة التى توصلنا إلى الحقيقة النسبية وليست الحقيقة المطلقة لأن الحقيقة المطلقة أمر غير مستطاع لعوامل مختلفة مثل ضياع الأدلة وإنطماس الآثار ، ومن ذا الذى يمكنه أن يعرف الحقيقة المطلوبة فى الماضى والحاضر وهل يمكن الإنسان أن يعرف حقيقة ذاته تمام المعرفة ، فالحقيقة التى يصل إليها المؤرخ هى حقيقة صحيحة نسبيا وكلما زادت نسبة الصدق منها اقترب التاريخ من أن يصبح تاريخا بالمعنى الصحيح .

وعموما فقد جاءت كتابات السيابى وصف دقيق لعمان عبر تاريخها ، دراسة للبيئة والأئمة ومشكلات السياسة والحرب والفكر والعقيدة والأدب وشرح واف لأحوال المجتمع وفى سبيل ذلك طاف المؤلف باحثا ، ومنقبا ، متأملا مستلهما معارفه من ثقافته الواسعة ومن شهادات الشيوخ والعلماء فجاءت كتاباته وافية شاملة تميزت بالبساطة والوضوح والسلاسة .

وبدراسة المنهج الذى اتبعه المؤرخون المسلمون فى كتابة التاريخ المحلى الدينى نجد أن هذا النوع من الكتابة تميزت بالكتابة عن مدينة بذاتها تخطيطها ومدنها وعمرانها وعاداتها وعلمائها من خلال مقدمة تبدأ طويلة نسبيا ثم تميل بعد ذلك إلى الإيجاز أما موضوع مثل هذه الكتب فقوامها الشخصيات البارزة التى كان لها شأن فى البلدة أو القطر موضوع البحث وكانت هذه الشخصيات فى البداية وقفا على علماء الدين ثم تطورت الطريقة قليلا فشملت كل الشخصيات البارزة فى المجتمع من أدباء وعلماء وأعيان وساسة .

وفى القرن الرابع الهجرى أصبحت الكتابة من التراجم مرتبة على حروف الهجاء وأقدم كتاب فى التاريخ المحلى الدينى رتبت تراجمه على نظام المعاجم أى وفقا للترتيب الأبجدى هو تاريخ علماء الأندلس لأبى الوليد عبد الله الأندلسى (ت ٤٠٣ هـ) . كذلك اتبع الخطيب البغدادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى فى كتابه تاريخ بغداد أو طريقة المعاجم فى ترتيب

أسماء التراجم إلا أنه أبدى إهتماما ملحوظا بالكتابة عن علماء الدين ومحتويات التراجم تعبر عن إهتمام المؤلف بالناحية الدينية وقدم المؤلف أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - على غيرهم فى الترتيب باعتبارهم أول من قدم إلى أطراف المكان الذى البغدادى ثم تطور هذا النوع من الكتابة بإضافة آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ومأثورات الصحابة فى الإشادة ببلد معين أو مدينة معينة وهناك أمثلة كثيرة مثل كتاب فضائل مصر وأخبارها لأبى الحسن إبراهيم زولاق وفضائل الإسكندرية لأبى علي الحسن بن عمر الصباغ (القرن الخامس) وفضائل دمشق لأبى الحسن على بن محمد بن شجاع وكتاب فضائل الشـــام لإبراهيم ابن عبد الرحمن العزارى .

أما الطريقة التى استخدمها السيابى فى كتاباته فكانت أكثر شمولا حيث شملت تاريخ عمان بشكل عام ومذهب أهلها وجغرافيتها وفترات ضعفها وقوتها مع إبراز واضح للمـــذهب الأباضى فى محاولة جادة للتعريف به واستخدام التاريخ كوسيلة علمية مقبولة بهدف إبراز وتجسيد الفكر الأباضى من خلال أئمته وعلمائه باعتباره المذهب الأكثر شيوعا فى عمان ولذا فقد أراد أن يؤرخ لمذهبه ، سواء بهدف الدعوة إليه أو دفع الشبهات عنه .

ولعل السيابى قد نهج نفس الطريقة التى اتبعها سرحان بن سعيد الأزكوى فى مخطوطه الشهير « كشف الغمة الجامع لأخبار الأمـــة »(١) ، حيث أورد المؤلف فى المقدمة قائلا « ولقد صنفت هذا الكتاب وجعلت ظاهره فى القصص والأخبار وباطنه فى المذهب المختار . . . عسى أنهم لأصول المذهب يعرفون

(١) سرحان بن سعيد الأزكوى تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة تحقيق عبد انعم القيس ج ٣ .

ولأهل الحق بالحق يعترفون »(١) .

ولعل شهرة هذا المخطوط جاءت من رؤيته التاريخية التى جملته فى مقدمة المصادر الأصيلة فى التاريخ العمانى .

وأعتقد أن الهدف الذى قصده الأزكوى هو نفس الهدف الذى قصده السيابى مع اختلاف كل منهما فى الطريقة التى استخدمها .

وعلى الرغم من ذلك فإن ماكتبه السيابى يعتبر جهدا علميا يشكر عليه فقد أوتى حظا عظيما من العمق والفيض والخصب معتمدا على أصالة فكره وإرهاف حسه مستعينا بما وهب من جلد وصبر ودأب على البحث والدرس والدرس ومقدرة على تحرى الحقيقة فى وقائع الماضى وأحداثه وهى عملية غاية فى الصعوبة .

وإذا كان المؤرخون المسلمون قد عنوا بما عرف بالتاريخ المحلى الدينى لإبراز أهمية مدينة بذاتها علمائها ، أعيانها ، اقتصادها فإن السيابى قد طاف كل أرجاء عمان بفكره وثقافته وأصالته مؤرخا لمذهب أهلها مع وعى شديد بأصول المذاهب ونشأتها وتطورها ثم يستنفر وقائع الماضى ويستدل بها فى أماكن كثيرة مع إلمام واضح مثل أنواع الثقافة العربية والإسلامية فجاءت كتاباته تأصيلا للماضى ودروسا للمستقبل وهذا هو التاريخ الشامل الذى هو الحياة بذاتها بشرها وخيرها .

المنهج التاريخى عند الشيخ السيابى :

لقد عرف الشيخ سالم السيابى بتنوع معارفه واهتماماته ، حيث كتب فى الفقه واللغة والأدب إضافة إلى التاريخ ، الذى أوتى فيه قدرا كبيرا من المعرفة إضافة إلى مقدرة على ربط الأحداث وتسلسلها بطريقة سهلة ، وعلينا أن نقر

---

(١) نفس المرجع السابق .

بأن الشيخ السيابي وكتاباته من النوع الذي عرفته ثقافتنا العربية كثيرا م
حيث ينتمى إلى مايعرف بالثقافة الشاملة ، حيث يختلط التاريخ بالعقيدة
ويمتزج الأدب بالفقه ومكتبتنا العربية حتفظ لنا نماذج كثيرة من أمثال
السيابي وهي مكانة لايقدر عليها إلا من أوتى حظا عظيما فى العلم وصبرا
متواصلا على البحث والقراءة ، لذا كانت محصلة السيابي في ، شتى مجالات
الثقافة العربية الواسعة وقد انعكس ذلك على كتاباته بشكل عام وكتاباته
التاريخية على وجه الخصوص .

ويعتبر كتاب عمان عبر التاريخ والذى يقع فى أربع مجلدات ، والذى
تفضلت وزارة التراث القومى والثقافة إدراكا منها لأهمية الكتاب ، حيث
طبعته ١٩٨٦ م لكى يكون فى متناول الباحثين والمتعطشين إلى معرفة تاريخ
عمان عبر العصور التاريخية المختلفة .

وعلى الرغم من كثرة ما كتب عن تاريخ عمان إلا أن أرى ما كتب فى هذا
المجال هى كتابات الشيخ نور الدين السالمى والشيخ سالم السيابي وخصوصاً
على المستوى المحلى ، حيث أن كلا منهما قد تناول تاريخ عمان عبر العصور
التاريخية المختلفة وبشكل تفصيلى وتحليلى يقترب كثيرا من المنهج العلمى
المعمول به فى مثل هذه الدراسات الموسوعية .

واعتقد أن كل ما كتب لا يمكن أن يكون القول الأخير فى تاريخ عمان
لأن الدراسات التاريخية يحكمها فى كثير من الأحيان وجهات نظر قد يجانبها
الصواب فى أحيان كثيرة .

ولعل الخطوة الرائدة ، التى تقوم بها وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة
عمان حيث تعمل جاهدة على نشر وتحقيق عدد كبير من المخطوطات العمانية إسهاما
منها فى تجسيد الوعى القومى والوطنى لدى المواطن العمانى من جانب وتقديم
خدمة علمية للباحثين والمؤرخين من جانب آخر مما يجمل وجهة النظر العمانية

موضع اعتبار أساسى فى وقت تعددت فيه الكتابات التاريخية وتباينت وجهات النظر وخصوصاً لدى المؤرخين الأوربيين ، وبقيت وجهة النظر العمانية غائبة إلى أن ظهرت عدة كتابات بأقلام عمانيين بدءاً بسرحان بن سعيد الأزكوى فى مخطوطه الشهير « كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة »(١) ومروراً بما كتبه نور الدين السالمى فى كتابه « تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان » .

ثم ظهرت كتابات حميد بن رزيق وخصوصاً « الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين » .

ثم « الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان » ، إضافة إلى العديد من الكتابات الأخرى التى تتفاوت أهميتها العلمية إلا أنها فى مجملها تمثل أهمية كبيرة فى تاريخ عمان .

وعلى الرغم من أن كتابات السيابى لا تمثل تجربته الشخصية فى كل ما كتبه من تاريخ عمان بحكم أنه لم يعايش الأحداث معايشة عملية كابن رزيق مثلا إلا أنه اعتمد فى كتاباته على كثير من المراجع والمصادر ، التى أشار إلى بعضها وأغفل بعضها الآخر إضافة إلى معلوماته التى سمعها من جيل الشيوخ ثم تسلسل الروايات ومقابلتها ببعضها ودراسة دوافع كل رواية وهى طريقة علمية استخدمها علماؤنا المسلمون فى تحقيقهم للحديث النبوى الشريف وأفردوا لها علما مستقلا عرف بعلم الجرح والتعديل .

واعتقد أن الشيخ السيابى قد وفق إلى حد كبير فى مهمته العلمية ، على الرغم من الصعوبات الكثيرة التى تصاحب هذا النوع من الكتابة ، ولعل من أهمها ندرة المصادر والمراجع وإن وجدت فهى على شكل مخطوطات

---

(١) سرحان بن سعيد الأزكوى ، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة .

غير صالحة لتقديم المعلومة بطريقة مبسطة إلا بعد تحقيق ودراسة ، حتى يمكن التثبت من الحقائق التاريخية .

ويبدو أن السيابي قد خاض طريقاً وعراً ، مدركاً صعوبة مهمته فكان إعتماده على القديم والحديث من المراجع والمصادر إضافة إلى رؤيته الخاصة ومقدرته على تحليل كثير من الموضوعات .

وعلى الرغم من أهمية المخطوطات العمانية باعتبارها مصادر هامة ، جديرة بالدراسة والتحقيق إلا أننا نعترف بأن كثيراً من المعلومات التاريخية التى وردت فى عدد منها جاءت مكررة ، بل تكاد تكون متطابقة مما يؤكد صعوبة معرفة الأصل المنقول عنه .

لعل هذه الطريقة فى الكتابة عرفت فى تراثنا العربى دون أن تكون هناك غضاضة فى ذلك وعلى سبيل المثال فإن ثلاثة من المصادر العمانية تتفق لدرجة التطابق على الطريقة التى وصل بها ناصر بن مرشد إلى إمامة عمان ١٣٠٤ هـ - ١٦٢٤ م دون إشارة لمعرفة الأصل المنقول عنه .

فبينما يقول الشيخ السالمى : « وسبب إجماع المسلمين بعد فرقتهم ما وقع من أمراء الظلم وملوك الغشم من تراكم الفتن وشدة المحن وإختلفت آراء أهل الرستاق ووقعت بينهم المحنة والشقاق وسلطانهم يومئذ مالك بن أبى العرب . وقدوة العلماء يومئذ خميس بن سعيد الشقصى ...

ووقعت خيرتهم على ناصر بن مرشد وكان فيما قبل ربيبا للقاضى خميس ابن سعيد الشقصى وكان قد عرفه من قبل ذلك فدلهم عليه فرضى الجميع وعقدوا عليه الإمامة بالرستاق(١) .

وفى المعنى يقول سرحان بن سعيد الأزكوى : « لقد اختلفت آراء أهل

(١) نور الدين السالمى ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ط ٥ ١٩٧٤ ج ٢ ص ٣ .

الرستاق ووقعت بينهم المحنة والشقاق وسلطانهم مالك بن أبى العرب . . . فاستشاروا العلماء المسلمين أهل الاستفاضة فى الدين . . . والقدوة يومئذ خميس بن سعيد الشقصى فاجتمعت آراؤهم على ناصر بن مرشد إلخ[1] .

ولا يختلف عن هذا المعنى أيضا حميد بن رزيق .

أما رواية السيابى فعلى الرغم من أنها تختلف فى مضمونها عن الروايات السابقة إلا أنه على ما يبدو قد نقل معلوماته عن الشيخ السالمى إضافة إلى كتاب حاضر العالم الإسلامى للمؤرخ الأمريكى لوثروب ستودارد وبه تحقيقات وإضافات كثيرة لشكيب إرسلان .

ولم ير الشيخ السيابى عيبا فى أن يشير إلى هذا المرجع مما يضاعف من ثقتنا بأمانة السيابى وتحرى الصدق والدقة فى كتاباته ، على الرغم من تحفظه على كثير مما ورد فى كتاب حاضر العالم الإسلامى .

وعلى الرغم من أن السيابى قد بذل جهدا لا بأس به وهو أن يؤرخ لعمان من خلال كتابه الشهير « عمان عبر التاريخ » ، إلا أنه نظرا لضخامة الموضوع وامتداده فقد جانبه التوفيق فى موضوعات على درجة كبيرة من الأهمية وهو يتحدث مثلا عن أعمال الإمام سلطان بن سيف ، الذى يستحق التوقف والدراسة إلا أن ما كتبه السيابى فى هذا الموضوع (أعمال سلطان بن سيف) لم تستغرق أكثر من صفحة واحدة اتسمت بالأسلوب الإنشائى وافتقدت إلى الموضوعية[2] ولعل ندرة المصادر كانت سببا أساسياً .

ومما يضاعف من صعوبة استقراء الحقائق فى المخطوطات العمانية

---

(١) سرحان بن سعيد الإزكوى — تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة تحقيق عبد المجيد القيسى ص ٩٨ .

(٢) سالم بن حمود السيابى ، عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ٢٣١ .

وخصوصا فترة الصراع بين دولة اليعاربة والبرتغال تلك الأحكام العامة والجمل الإنشائية وتطابق معظم الروايات حول الكثير من القضايا .

وأعتقد أن نور الدين السالمي كان أكثر دقة فى هذا المجال ، على الرغم من أنه استخدم نفس الطريقة فى كثير من روايات فهو يتحدث عن جهاد سلطان بن سيف فى مقاومة النفوذ البرتغالى قائلا : « لقد قام ببناء مراكب عظيمة فى البحر وعظم جيشه وقوى سلطانه واستولى على الجزيرة الخضراء وكلوة بات وغيرها من بلدان الشرق الإفريقى والهند كما غزا أرض فارس وأدب كل من تسول له نفسه بالعدوان »[٢] .

ويبدو من النص أن الأسلوب الإنشائى هو الغالب وأن إستقراء الحقائق ودقتها تبدو صعبة للغاية فالمؤرخ فى حاجة إلى حجج تاريخية تمثلت فى أسماء وأرقام وأحداث حتى يمكن الحكم بشىء من الموضوعية إلا أن هذا لا يقلل من جهد هؤلاء الرواد الذين ضحوا براحتهم فى سبيل أن يقدموا ماعندهم وهــذا مما يضاعف من قناعتنا بأهمية إعادة كتابة تاريخ عمان وخصوصا فى فترة دولة اليعاربة ، التى اتسمت بقدر كبير من الغموض .

وإذا كان هؤلاء الرواد قد تركوا هذا الكم الهائل من كتب التراث فبكل تأكيد فإن جيلا جديدا من الباحثين والمؤرخين عليه أن يستثمر تلك القيمة العلمية اعتمادا على ماظهر حديثا من مخطوطات ووثائق واعتمادا على منهج علمى دقيق إلا أنه من الملاحظ أن الإتجاه إلى دراسة التاريخ العمانى اعتمادا على فكرة الموسوعات والشمولية فى تناول القضايا كل ذلك مازال معمولا به لدى عدد من الباحثين المعاصرين وإذا كان لجيل الرواد عذره فى ذلك فإن على الباحثين المعاصرين أن يعيدوا الكتابة أخذا بفكرة التعمق الرأسى بهدف الدقة والتحقيق .

---

(٢) نور الدين السالمى ، مرجع سبق ذكره ج ٢ ص ٢٦ .

وتبدو الفكرة الدينية واضحة عند السيابي في كل ما كتب وبكل تأكيد فإن ثقافته الإسلامية الواسعة كان لها أكبر الأثر على طريقته ، حيث أراد أن يؤرخ لعقيدته الدينية بطريقة تدفع القارىء إلى تتبع ما يريد أن يقوله دون كلل أو ملل ولذا فقد اختار التاريخ وسيلة لتحقيق هذا الهدف وهو يؤكد على هذا المعنى قائلا : « ولتعلم أيها القارىء أننا إذ نكتب التاريخ نريد فجعله وسيلة لتثقيف الناس بالحقائق الروحية »(١) .

ويبدو أن السيابي لم يغفل أهمية التاريخ كتراث ثقافي وإنساني له أكبر الأثر على حياة الشعوب إضافة إلى أهمية التاريخ كتجربة إنسانية جديرة بالمحاكاة والعبر ولعله كان مدركا لهذا البعد حيث ظهر بشكل واضح من خلال كتابه الشهير « عمان عبر التاريخ » .

وعلى الرغم من أن كتابات السيابي وخصوصا كتابه الشهير « عمان عبر التاريخ » لا يضيف جديدا عمن سبقه من أمثال الشيخ السالمي أو ابن رزيق الأزكوي إلا أن الجديد الذي ميز السيابي هو فهمه الحقيقي لمقولة ابن خلدون الشهيرة بأن علم التاريخ نظر وتحقيق وعلم بالكيفيات والوقائع وأسبابها . ولذا فقد تميزت كتابات السيابي بقدر لا بأس به من المنهجين وخصوصا في تحليل كثير من الظواهر ومحاولة نقد بعض الروايات ونبذ الفكرة القديمة القائلة بأن التاريخ عبارة عن حكاية لا تخضع للنقد أو التحليل(٢) .

ولعل مما يضاعف من قناعتنا بأن السيابي كان واعيا للفكرة التاريخية قوله : « إن ميدان التاريخ أوسع الميادين وأن مادته متسعة كاتساعه ، فإن موضوعه القضايا البشرية وهي عديدة لا تكاد تدخل تحت حصر ولذا فقد صار التاريخ قانون سياسته وعنوان رئاسته »(٣) .

---

(١) السيابي ، مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٢٦ .

(٢) سالم بن حمود السيابي ، عمان عبر التاريخ ج ١ ص ٢٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٣٦ .

وعلى الرغم من هـــذا الفهم الواعى بطبيعة التاريخ ودوره إلا أننا لانستطيع أن نقول بأن السيابي قد ترجم ذلك بشكل ملحوظ فى كتاباته التاريخية ، حيث إقتصرت اهتماماته على الأعلام فى قضايا الدين والسياسة دون أن تـكون للقوى البشرية مكانة بارزة فى كتاباته فهو يـكتب عن ملوك عمان وأئمتها ، وعلمائها دون أن يذكر لدور الناس ، الذين صنعوا الأحداث وأسهموا فيها بشكل لافت .

وإذا كان السيابي قد أخذ بفـكرة نقـــد الروايات وتحليلها فى بعض كتاباته ، حيث ظهر ذلك بشكل ملحوظ حينما إعتمد على كتاب « حاضر العالم الإسلامى »[1] حيث تصدر لتحقيق كثير من الروايات التى وردت فى هذا الـكتاب إلا أن هذا المنهج يتبدد حينما يكون السيابي بصدد نقل رواية للسالمى فهو ينقلها على أنها حقيقة مجردة ، وعلى الرغم من تقديرنا لأهمية كتاب السالمى « تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان » إلا أن هناك الـكثير من القضايا ، التى كانت فى حاجة إلى قدر من التحقيق ومقابلتها بغيرها من الآراء ووجهات النظر الأخرى وهو أمر أساس فى المنهج العلمى السليم .

ولما كانت قضية الإمامة تمثل أهمية كبيرة فى فـكر السيابي فقد أفرد لها أهمية خاصة ، حيث نجح بشكل ملحوظ فى تتبع تاريخها وفترات ضعفها وقوتها وكان موفقا فى عرضه ومناقشته للعديد من موضوعات الفقه الاباضى من خلال حديثه عن أئمـة المذهب وبينما تتطابقت الـكثير من الروايات التاريخية عند الأزكوى والسالمى وابن رزيق ينفرد السيابي برؤية معاصرة ، معتمدة بلا شك على من سبقه إلا أن أسلوبه وتحليلاته فى بعض الأحيان قد اكسبتها قدرا لا بأس بها من الدقة .

---

(١) لوثروب ستودارد « حاضر العالم الإسلامى » ترجمة عجاج نويهض ، تحقيق شكيب أرسلان .

يبدو ذلك بشكل أكثر وضوحا فى الجزئين الثانى والثالث من كتاب « عمان عبر التاريخ » فبينما يتحدث عن سلطان بن سيف، ينقل فقرات كاملة من كتاب « حاضر العالم الإسلامى »[1] تتناول انتصارات الإمام سيف على البرتغاليين وكيف أنه أجلاهم عن عمان وتعقبهم إلى الهند ثم ينقل السيابى عن السالمى ، يفهم بأن كفاح اليعاربة ضد البرتغاليين قد أغفل من جانب المؤرخين .. وهو اعتراف من الشيخ السالمى بأن المعلومات التاريخية عن أئمة اليعاربة ليست كافية .

وعلى الرغم من أن السيابى قد أتيحت له مصادر أفضل عند اليعاربة إلا أنه لم يأت بجديد أكثر مما أتى به نور الدين السالمى ومن ثم جاءت كتاباته فى هذا الموضوع بالذات تكرار مع شىء من التصرف .

وعلى العموم فإن ما كتبه السيابى عن تاريخ عمان مع بداية القرن السادس عشر الميلادى وحتى منتصف القرن السابع عشر فى أشد الحاجة إلى مزيد من الاهتمام ، نظرا لأن ما كتب عن هـذه الفترة لا يتناسب بأى حال وأهمية الدور الذى بعد اليعاربة والذى بدت نتائجه، على كل المستويات ولذلك فإن فترة كفاح اليعاربة ضد البرتغاليين ، فترة غنية فى التاريخ العمانى وأعتقد أنها لم تكتب بعد ولعل ما كتبه السيابى يعد أساسا لكتابات لاحقة على ضوء مايظهر من وثائق ومخطوطات .

ولعل الوحدة القومية التى حققها أئمة اليعاربة كانت السبب المباشر لكل الإنتصارات التى أحرزها العمانيون ضد البرتغاليين وهى قضية لم يلتفت إليها كثير من المؤرخين ، حيث أدرك أئمة اليعاربة حقيقة التيارات السياسية كاملة وراحوا يخوضون حربا ضارية على المستويين الداخلى والخارجى ، وكلما حققوا قدرا من الإنتصارات فى سبيل توحيد عمان راحوا يواجهون عدوهم القابع فى المناطق الساحلية وبقدر ما كانت عليه الجبهة الداخلية تشهد

(١) حاضر العالم الإسلامى ، مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٤٥ .

هدوءا نسبيا كانوا يواجهون عدوهم فى كل من صور ومسقط ومطرح وفى كل القلاع والحصون العمانية .

وعلى الرغم مما كتبه السيابى فى هذا المجالات والذى استغرق صفحات طويلة من الجزئين الثالث والرابع (عمان عبر التاريخ) إلا أن جوانب هامة عن تلك الفترة ماتزال فى حاجة إلى جهد كبير من الباحثين والمؤرخين نظرا لندرة المراجع والمصادر ، التى عالجت تلك الفترة الهامة من تاريخ الشعب العربى العمانى .

ولعل عام التقادم قد ألقى قدرا كبيرا من الغموض عن تلك الفترة الهامة من تاريخ عمان بحكم أحداث تلك الفترة قد وقعت خلال القرن السادس عشر ومنتصف السابع عشر الميلاديين ولم تسجل الأحـــداث على نمط كتابات ابن إياس أو الجبرتى ولم تحفظ الأوراق أو المذكرات أو الرسائل من الجانب العمانى ولذا فقد جاءت المصادر البرتغالية بما تحمل من مبالغات وافتراءات مصدرا لا يستهان به فى تحقيق هذا الصراع .

ولذا فإننا نقدر صعوبة المهمة التى قام بها السيابى فى كتاباته عن تلك الفترة ، ولا يخفى على أحد خطورة الاعتماد على وجهة نظر واحدة شاركت كظرف مباشر فى صنع الأحداث وهكذا بقيت وجهة النظر العمانية غائبة وعلى الرغم من أن كتابات السيابى فى هذا المجال لا تحقق طموحات البحث العلمى الجاد حيث أغفلت موضوعات هامة وتفاصيل تتعلق بطبيعة الصراع إلا أنها على الرغم من تواضعها فهى بكل المقاييس تعد وجهة نظر على درجة كبيرة من الأهمية بعكس المصادر البرتغالية ، التى اعتمد عليها عدد كبير من المؤرخين العرب والأجانب وهى عبارة عن تقارير لسير الأحداث وأوراق تمثل تقارير يومية تفاصل ورحالة أجانب وهى فى مجملها تمثل وجهة النظر الأخرى ، التى لا يمكن الاعتماد عليها إلا بحذر شديد فهى تحمل قدرا كبيرا من المبالغة والتهويل لسبب بسيط وهو أن كاتبها لا يمكن أن يتجرد

من دوافعه الشخصية والوطنية لأن القائد الذي يتصدى لمواجهة عدوه قد يبالغ في حجم قوته بهدف أن تسارع دولته إلى إمداده بالجند والعتاد أو قد يهدف إلى من يرفع من شأن نفسه أو قد يحاول تبرير هزيمة لحقت به كما أن المسئولين عن سير المعارك لا يمكن أن يكتبوا لقيادتهم بما يدينهم أو يحملهم قدرا كبيرا من المسئولية .

ولعل هذا القول لا ينطبق على الوثائق بشكل عام، حيث تختلف طبيعة كل وثيقة من حيث موضوعها ومن حيث عامل الزمن الذي يشكل عنصرا هاما في تفسير الوثيقة .

فالوثائق التي تتناول الحقائق مجردة كالتقارير الإقتصادية مثلا تختلف عن التقارير السياسية التي قد يحكمها عامل نفسي يختلف من شخص لآخر وهذا ينطبق على الوثائق القديمة والحديثة معاً .

أما عامل الزمن كعنصر أساسي في الوثيقة فإن له أهميته الكبيرة فوثائق القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين مثلا تختلف من حيث أهميتها العلمية عن وثائق للقرن العشرين وكذا العقد الأول من القرن العشرين تختلف عن العقد الثامن نفس القرن .

فالقائد الذي يكتب لقيادته أثناء قيادته للوحدات العسكرية في مياه الخليج مع مطلع القرن السادس عشر تحكمه أثناء كتاباته اعتبارات نفسية ودينية ووطنية تحول قيادته أهمية كبيرة عليها بعكس القائد الذي يكتب لقيادته في القرن العشرين فهناك الكثير من الآراء ووجهات النظر التي تحكم قرار القيادة وبالطبع فإن تكون القرارات معتمدة على وجهة النظر العسكرية الخالصة فهناك المصالح السياسية والقانونية والاعتبارات الدولية ، التي تشكل طبيعة الصراع وهي في مجملها تتحدى المصلحة بشيء من الموضوعية لتقييم حقيقة الأشياء دون الاعتماد على وجهة نظر واحدة التي تكون غالبا قاصرة عن توصيف الأحداث وتقييمها ووضع الحلول لها .

وهذا ينطبق بشكل ملحوظ على كتابات القناصل والرحالة الأجانب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر مثلا وهذا النقـــد الموضوعي الخالص عن بعض .

ولذا فعلينا ألا نبالغ فى أهمية ما كتبه الأجانب عن تاريخنا ، بل علينا ألا نرفضها وإنما نقبلها بحذر شريطة أن نضعها فى مكانها المناسب مع غيرها من الآراء والكتابات الموضوعة الأخرى ، حتى يكون الحكم على الأشياء موضوعيا فى أساسه منهجيا فى طريقته .

واعتقد أن ما كتبه السيابى عن تاريخ عمان وطنا وعقيدة وشعبا يجب أن موضع فى إطارها الصحيح بجانب غيرها من الآراء ووجهات النظر الأخرى .

ولعل ما كتبه السيابى كان نتاج جهد شخصى ، حيث رجع إلى بعض المراجع العربية حيث إستقى مادته العلمية ولا نستطيع أن نقر بأنه قد رجع إلى كل المصادر والمراجع ولذا فإن هناك فترات تاريخيه قد تناولها على عجل شديد ومن المؤكد أن افتقاد المراجع كان عاملا هاما فى تلك القضية .

وعموما فلا يمكن إلا أن نقر بأن كتابات السيابى ستبقى أساساً لكل من يريد أن يتخصص فى تاريخ عمان ولا يمكن إغفالها وسواء أكان منهجيا فى كتاباته أو مجتهدا فى رؤيته فإن الرجل بكل المقاييس قد اجتهد قدر طاقته ومن إجتهد فأخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران .

والله نسأل العون والتوفيق ؟

أهم المراجع التي إعتمد عليها البحث

١ - ابن إياس (محمد بن أحمد) بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق د / محمد مصطفى جـ ٣ ، ٤ ، القاهرة سنة ١٩٦٠ م .

٢ - د / أحمد شلبي ، كيف تكتب بحث أو رسالة ، القاهرة سنة ١٩٧٨ م .

٣ - إدوارد كار ، ما هو التاريخ ؟ ترجمة د / أحمد حمدي محمود ، القاهرة سنة ١٩٦٢م .

٤ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، القاهرة سنة ١٩٣١م جـ ٣ .

٥ - أسد رستم ، مصطلح التاريخ ، بيروت سنة ١٩٥٥ م .

٦ - إبن خلدون ، المقدمة دار الشعب ، القاهرة سنة ١٩٦٦ م .

٧ - بيريل سمالي ، المؤرخون في العصور الوسطى ترجمة د / قاسم عبده قاسم القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

٨ - حميد بن محمد بن رزيق ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين ، سلطنة عمان سنة ١٩٧٧ م .

٩ - د / حسين نصار ، نشأة التدوين التاريخي عند العرب .

١٠ - د / سيدة الكاشف ، علم التاريخ عند المسلمين ، القاهرة سنة ١٩٧٥م .

١١ - سيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون عند العرب ، الإسكندرية سنة ١٩٨٧ م .

١٢ - سلمة بن مسلم العوتبي ، الأنساب جـ ١ ، ٢ من مطبوعات وزارة التراث القومي سلطنة عمان سنة ١٩٨٤ م .

١٣ - سالم بن حمود السيابي ، عمان عبر التاريخ ، أربعة أجزاء ، سلطنة عمان سنة ١٩٨٦ م .

١٤ - سالم بن حمود السيابي ، العنوان في تاريخ عمان .

١٥ - « « « « ، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز

١٦ - سالم بن حمود السيابي ، الإسعاف في التاريخ العماني .
١٧ - » » » » » ، إزالة الوعثاء في أتباع أبي الشعثاء .
١٨ - » » » » » ، طلقات المعهـد الرياضي في حلقـات المذهب الأباضي .
١٩ - د/ شاكر مصطفى ، التاريخ العرب والمؤرخـون جـ ١ بيروت سنة ١٩٧٨ م .
٢٠ - د/ عبد الرحمن بدوي ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب بيروت سنة ١٩٦٠ م .
٢١ - د/ عماد الدين خليل ، التفسير التاريخي بيروت سنة ١٩٧٥ م .
٢٢ - قسطنطين زريق ، نحن والتاريخ بيروت سنة ١٩٥٩ م .
٢٣ - لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجاج نويهض تعليق وتحقيق شكيب أرسلان ، طبعة سنة ١٩٦٣ م .
٢٤ - محمد شفيق غربال ، أساليب كتابة التاريخ عند العرب ، مجلة مجمع اللغة العربية مجلد ١٤ سنة ١٩٦٢ م .
٢٥ - محمد عبد الغني حسن ، التراجم والسير ، القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
٢٦ - نور الدين السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٤ م .